

مُشكلات اللغة والمصطلحات

I
الدكتور يوسف الحزوري

رئيس قسم الجيولوجيا
(جامعة دمشق)

القرن الخامس عشر . اذ ركزت كليا وبقيت على هذا الحال الى ان حل النصف الثاني من هذا القرن العشرين . فعمت بوادر الاهتمام بالعلوم واحيائها الشرق العربي بكامله وبشكل لم يعرف التاريخ له مثيلا منذ انطواء العصر الذهبي . وذلك اثر نشوب ثورة علمية جارفة اكتسحت البلدان العربية التي نالت استقلالها السياسي بعد معارك ضارية قدمت فيها عددا كبيرا من ابنائها على مذابح التضحية والشهادة . دعمت استقلالها السياسي بنشر العلم والثقافة وخلقت المعاهد والجامعات واعادت للعلماء والباحثين اعتبارهم التقليدي باذلة لهم الجوائز ومشجعة اياهم على التأليف والاقتباس والترجمة . واصبح العلم من جديد جزءا رئيسيا من كيانها وحياتها .

ان هذه الثورة العلمية التي نحيهاها تضع امامنا مشكلات جديدة تتصل بكيفية تدريس هذه العلوم ونقلها للجيل الصاعد الذي يتلقف العلم على مقاعد التدريس في الجامعات الحديثة في جميع البلدان النامية التي نالت استقلالها مؤخرا ، وفي جامعات البلدان التي لا تزال تروخ تحت نير الاستعمار والاستغلال بجميع وجوهه واشكاله .

لقد هالج الدكتور بشير العظمة موضوع هذه المشكلات في مقاله اللغة العلوم الذي نشره في العدد

بشيت الواقع التاريخي : ان الامة العربية تاسي في طلعة الامم التي كانت تنشر العلم والمعرفة على البشرية جمعاء . وذلك عندما توطدت لها دعائم الملك فاستغلت امكاناتها ووجهت اهتمامها في باديء الامر لنقل العلوم الاغريقية والفارسية واليونانية والهندية والسريانية الى اللغة العربية ومن ثم خرجت على البشرية باحدث النظريات التي كانت تسبق المفاهيم العقلية السائدة في ذلك الوقت . والتي تتناسق اليوم مع احدث المعطيات العلمية المتغيرة سيقا علميا يطبع عصرنا هذا بطابع العلم والاختراع . ولنا في مؤلفات البيروني وابن الهيثم وابن سينا وغيرهم من علماء عصرهم اكبر دليل على رقي المفاهيم العلمية في ذلك العصر . الذي يعتبر بحق العصر الاسلامي الذهبي . والذي يمتد من القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن الخامس . ولقد انصف المستشرق الاميركي « ايريو بوب » البيروني حين قال : ان اية قائمة تحوي اسماء اكابر العلماء يجب ان يكون فيها لاسم البيروني مكانه الرفيع . ومن المستحيل ان يكتمل اي بحث في الرياضيات او الفلك او الجغرافيا او التاريخ او علم الانسان او علم المعادن دون الاقرار بمساهمة البيروني العظيمة في كل علم من تلك العلوم .

غير ان العلوم في الادوار التي تلتها كانت تتذبذب بين انحطاط او ارتخاء ونهضة او يقظة ، حتى نهاية

قدفها جبل النار فجمدت على جوانه واسفله ومننا
استمارها الإبطايون فقالوا Lava والفرنسيون
Lave

وكلمة المرقشيتا وهي ضرب من كبريت الحديد
فقد ذكرها ابن البيطار وكثيرون غيره من أرباب علم
المعادن وقالوا أنها البوريطس Pyrite blanche
أو حجر النار وقد اقتبس الفرنسيون منا المرقشيتا
فسموها Macossite ونحن اقتبسناها من الأراميين
فإنهم يسمونها (مرقشيتا) أو (كيفامقشيتا)
ومعناها الحجر الصلب أو الصلب . فحذف العرب
الكيفاء وأقحموا راء بين الميم والقاف تعريفاً عن
المحدوف فصارت كما نرى طلباً للخفة في اللفظ (١) .

إن أمثال هذه المصطلحات العلمية التي أخذها
عنا الغرب كثيرة . فالطلق والسفير وغيرها مستعملة
لدى الغربيين ويعنون بها الفاظ : Saphir Talc
وبراد بالأولى البودرة والثانية حجر كريم ، وكذلك
أخذوا عن اللازورد لفظة Azur للدلالة على لون
السماء إذ إن المراد باللازورد حجر كريم مشهور
بحسن لونه الأزرق السماوي .

على أن العرب من ناحيتهم لم يقصروا في
الاقتباس عن غيرهم في عهودهم السابقة ولا سيما في
عهد العباسيين . فقد دونوا كل ما وضعه العلماء
الاقدمون من يونان وفرنس ورومان والغوا في معظم
العلوم وجاءت تأليفهم من أحسن ما كتب والذي نأق
الجميع هو بلا شك أبو الريحان البيروني ، الذي يعد
من أعظم علماء الإسلام . فقد كتب معظم مؤلفاته
باللغة العربية وشارك في أغلب العلوم والفنون
والصنائع حتى قيل فيه « أنه في التاريخ مؤرخ
محقق مدقق ، واسع الإطلاع ، وفي الجيولوجيا ،
جيولوجي ممتاز بشهادة الجيولوجيين المعاصرين ،
وفي الفلك فلكي ممتاز بشهادة الفلكيين المعاصرين ،
وفي الرياضيات رياضي ممتاز بشهادة أساتذة
الرياضيات المعاصرين » ، والكلمات العربية كثيرة في
لغتنا العربية تستعمل بطلاقة وتشمل جميع الفروع
من آداب وعلوم ، فالياقوت مثلا كلمة معربة من
اليونانية وهي Hyacinthos والمغنطيس معربة
من اليونانية أيضا Magnes والرطل هو تعريب
لعبرا Litra الرومية المأخوذة من مثلها في
اليونانية وقد دخلها القلب في العربية ، وقد أجاد

(47) من مجلة « المعرفة » الصادر في دمشق بشهر كانون
الثاني 1966 . فأتى على جميع إبعاده القومية والفنية .
مثبتا أن موضوع استعمال أداة التفاهم الوطنية في
المجال العلمي بديهية لا تبلغ درجة الشك وخلص إلى
ضرورة توحيد لغتنا العلمية من أجل مصلحة المروبة
ومصلحة الإنسانية جمعاء . ثم تلاه عدد من الجامعيين
من أطباء وعلميين فقاموا بمعالجة هذا الموضوع
الخطير . وقد أيد معظمهم الدكتور العظيمة من النواحي
القومية والوطنية وعالجوا بعدها المشكلات التي تترس
أيجاد المصطلحات العلمية في بداية الأمر بشكل يقبل
به جميع الباحثين في الأقطار العربية ، معتمدين على
تجاربهم الشخصية في الجامعات العربية التي درسوا
فيها ومبينين أن ما ينسب للمصطلحات الممول بها
حاليا من أخطاء يعود إلى نقص في التنظيم لا إلى فشل
بالتعليم باللغة العربية نفسها التي تعتبر بحق من
أقدر اللغات على الإداء والتعبير والنحت والتصريف .

ولقد عنيت في هذا المقال أن أدلي بدلوي في هذا
المجال الواسع الإرجاء . مستعينا بالتجارب التي مرت
علي منذ تأسيس قسم الجيولوجيا في الجامعة
السورية بدمشق ، كنت أدرس هذه المادة باللغة
الفرنسية في البداية ثم انتقلت بعدها إلى تدريسها
وبجميع تفرعاتها باللغة العربية القومية مستمينا
بالمصطلحات العربية والمنحوتة . فقد وجدت تجاوبا
كبيرا من قبل الطلاب في تدريس هذه المادة باللغة
العربية وتفهما لم أعده من قبل حين كنت أعطيها
باللغة الفرنسية . وكان يعطيها زميل لي باللغة
الانكليزية . وقد وقفت بنفسي خلال تجربتي هذه على
غنى المصطلحات العربية الواسع في التعبير عن
المواضيع الجيولوجية التي سبق للاقدمين أن عالجوها
باللغة العربية البديعة ، إذ أنهم كانوا ولا شك واقفين
على أسرارها . واعتقد جازما أن مصطلحات إنشاء
الإلسنة الأخرى الحية والمعروفة في عصرنا لا تجاريها ،
وقد أخذوا بقسم كبير منها . ولنا في الأمثلة التالية
خير دليل على صحة ما ذكرت : فاللابة ونريد بها
المهل المنصهرة هي عربية أخذها عنا الغربيون
فاستعملوا كلمة Lava يقول الأب انتناس ماري
الكروملي البغدادي في تعليقه لكتاب : نخب الدخائر في
أحوال الجواهر تأليف السنجاري المعروف بابن
الاكفاني : « عندي أن أصل اللابة للحر « اللابة » لفة
في « الدابة » لأنها كانت في الأصل جواهر ذائبة

(1) كتاب الدخائر في أحوال الجواهر .

عمله في رأي خطوة جريئة شاملة في سبيل تعريب
المصطلحات العلمية في كل قطر عربي ، إذ أنه
تقدم باقتراحات موضوعية في هذا المجال كان تنشأ
في كل قطر عربي شعبية وطنية تكون صلة وصل بينها
وبين المكتب الدائم للتعريب تشمل اختصاصاته
توحيد المصطلحات في جميع الأقطار العربية وجعلها
الزامية .

ولابد لي في النهاية من التنويه بضرورة اتقان
لغة أجنبية حية إلى جانب اللغة العربية ، ولا سيما في
المرحلة الانتقالية التي نجتازها ، والتي يتوقف عليها
مستقبل الأمة العربية جمعاء ، فمكتبتنا العربية ما
زالت مفتقرة إلى كثير من الكتب العلمية باللغة العربية
وإن اقتصار الطلبة على هذا النذر اليسير من الكتب
العلمية العربية لا يكفي لإرواء عطشهم إلى الاستزادة
من هذه العلوم بغية اللحاق بركب الحضارة العلمي
الذي هو هدفنا بالدرجة الأولى ، وإن اتقان لغة
أجنبية يساعد كثيرا على وضع المصطلحات بأحسن
صيغة فنكون بذلك قد افدنا أنفسنا واهنينا مكتباتنا
وجامعاتنا بالمصطلحات العلمية التي نحن بأشد الحاجة
اليها .

ولابد لي من توجيه كلمة شكر وامتنان للقائمين
على مجلة المعرفة التي سقت وفتحت هذا الباب
للمناقشة . خدمة للعلم والعلماء في وطننا بوجه
خاص وللإنسانية والمعرفة بوجه عام . مؤملا عدم
الاكتفاء بما نشر في هذا الموضوع . ومتابعة
المؤسسات المختصة هذا الموضوع للوصول إلى مقررات
توضع موضع التنفيذ وتخدم لغتنا العربية الغالية
علينا وجامعاتنا وثقافتنا ، الخدمة التي نتوق اليها
ونتمناها .

(يتبع)

العرب أيضا في النحت فنحنوا كلمة الماذنبي وهو
نوع من الياقوت يقول النيفاشي في أصلها : « سالت
بعض مشايخ الجوهريين في سبب تسمية هذا النوع
بهذا الاسم فقال : إن هذا الحجر شديد الشبه بجيد
الياقوت ، فإذا قوم بدون قيمة الياقوت ، كأنه يقول
بلسان حال جودته : « ماذنبي » حتى أقوم بدون
قيمة الياقوت » فالكلمة كما نرى إذن منحوتة من ما
الاستفهامية وذنب مضافة إلى المتكلم (2) . والكلمة
هي ضرب من البنفسج الذي يدموه الغرب Hyacinthe

وفي رأيي أنه يمكن لنا وقد زادت الاصطلاحات
الفنية في يومنا هذا زيادة تناسب مع متطلبات
العلوم الحديثة والاختراعات التي أصبحت لا تقع تحت
حصر ، إن تأخذ من هذه المصطلحات بالتعريب
والنحت كما أخذ منها علماءنا في السابق . ونمارس
التدريس بلغتنا القومية في جميع المجالات العلمية
حتى نجاري الأمم التي سبقتنا في هذا المضمار ،
مبينين بذلك أن لغة الضاد هي لغة سخية سمحة
تجاري العلوم والمخترعات ، فهي لغة علوم بالدرجة
الأولى كما أنها لغة آداب وفلسفة وفنون ، فيمكننا
إذا ما اتفقنا على وضع بعض الأسس في تعريب
المصطلحات أن نصل إلى الغاية المنشودة .

لقد سبق لكل من الاتحاد العلمي العربي في
مؤتمره الثالث ومؤتمر التعريب في المملكة المغربية (3)
أن رفعا بعض التوصيات المتعلقة بالخطة العلمية
المثلى في تحقيق التعريب بوجه عام وفي تعريب
المصطلحات العلمية بوجه خاص . وقد أخذت
الجامعة العربية ببعض هذه التوصيات . إذ أنها انشأت
المكتب الدائم للتعريب في المملكة المغربية ويعتبر

(2) كتاب الدخائر في أحوال الجواهر .

(3) راجع العدد الرابع من «اللسان العربي» .